بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة التي ألقاها سيدنا الخليفة الخامس أيده الله تعالى في ١٠/ ٢/ ٢٠٠٦م

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللهِ الرحْمنِ الرحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَب الْعَالَمِينَ * الرحْمـــنِ الرحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدينِ * إِياكَ نَعْبُدُ وإِياكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا الصرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضالِينَ *

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(سورة الأنبياء:١٠٨)

﴿إِن اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلونَ عَلَى النبِي يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا صَلوا عَلَيْهِ وَسَلمُوا تَسْلِيمًا۝ إِن الذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَد لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (سورة الأحزاب: ٥٧-٥٨)

ردة فعل العالم الإسلامي على نشر الرسوم المشينة

يجتاح البلادَ الإسلامية في كل أنحاء العالم في هذه الأيام تيارٌ من السخط والغضب على "الدنمارك" وعلى بعض البلاد الأوروبية الأخرى التي نشرت في جرائدها رسوماً سيئة تسخر من سيدنا رسول الله "محمد" ﷺ ومن ديننا الإسلام بصورة تستفز مشاعر كل المسلمين وتجرحهم إلى أقصى حد. وهذه الرسومات سببت غضباً شديداً عند كل مسلم، ومن الطبيعي أن يكون لدى المسلمين ردة فعل على هذه الفعلة الشنيعة. ولأن المسلمين الأحمديين أشد المسلمين حبا وإجلالاً للرسول ﷺ وأكثرُ إدراكاً لمقام خاتم النبيين محمد المصطفى ﷺ بما تعلموه من سيدنا المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام، فقد راسلني الكثير من الأحمديين مُعربين عن غضبهم الشديد وسخطهم على هذه الإساءة، واقترحوا القيام بحملةٍ مستمرة لتعريف العالم بمكانة هذا النبي العظيم ﷺ. في حقيقة الأمر، إن الفروع النشيطة من جماعتنا تؤدي هذا الواجب بفضل الله تعالى. ولكن، وكما نعرف جميعًا، إن ردة فعلنا لا تكون في شكل الإضراب والإحراق والتظاهرات والتكسير وحرق الأعلام، إذ ليس هذا بعلاج.

إن أصحاب الديانات الأخرى وكذلك أهل الغرب يهاجمون الإسلام ومؤسسه ﷺ في هذا العصر. ليس للغرب أدنى اهتمام بالدين في هذه الأيام، وقد انغمست الأغلبية الساحقة منهم في اللهو واللعب، فلا يهتمون بالدين مطلقًا بغض النظر أكان دينهم الإسلام أو المسيحية أو غير ذلك. لقد قطعوا أي علاقة بالدين بشكل عام، وقد تلاشى عند أغلبيتهم الشعور بقداسة الدين. فقد تناهى إلى سمعي خبر من فرنسا – على ما أظن – قبل أيام بأنهم قالوا إنهم يملكون الحق في أن ينشروا رُسومًا لله تعالى أيضًا – والعياذ به. فترون ما آلت إليه حالهم وترون طريقة تفكيرهم. عندما أتوا بهذه الفعلة الشنيعة ورسموا هذه الرسوم الشنيعة، وظهرت ردة فعل العالم الإسلامي تجاهها، كتب بعض كتابهم أن هذا الرد ما هو إلا صدامٌ بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية الديمقراطية العلمانية. مع أن هذا ليس صدامًا بين الحضارات أبدًا. إنما الواقع أن معظم هؤلاء قد فسدت أخلاقهم وقد مالوا إلى المجون باسم الحرية وقد خلعوا ثوب الحياء.

تصريح بعض المنصفين

غير أن هناك بعض النبلاء من كتابهم الذين يحبون العدل، وقد خطَّؤوا هذه النظرية القائلة بصدام الحضارات بين الإسلام والديمقراطية العلمانية الغربية. لقد كتب الصحفي الإنجليزي روبرت فِسك (Robert Fisk) تعقيباً عادلاً على ما قاله أحد الدنماركيين عن تصادم الديمقراطية العلمانية الغربية والمجتمع الإسلامي، فقال: إن هذا الكلام خاطئ. هذا ليس صدامًا بين الحضارات ولا يتعلق الأمر بحرية الرأي والتعبير، إنما الأمر الواقع أن المسلمين يعتقدون أن الله قد أنزل تعاليمه على النبي (محمد) مباشرةً، وأنه ممثل الله تعالى على الأرض، بينما يرى هؤلاء (أي المسيحيون) أن الأنبياء والأولياء وتعاليمهم قد اختفت في غياهب التاريخ بسبب عدم توافُقها مع الرؤية الجديدة عن الحقوق الإنسانية والحرية. إن المسلمين يرون الدين جزءًا من حياتهم، وما زال تفكيرهم هذا قائمًا رغم تعاقُب القرون والتغيرات، بينما قد فصلنا نحن الدين عن حياتنا العَملية؛ لذا فإن الواقع أن الصدام الآن ليس بين المسيحية والإسلام، إنما القضية هي هجوم من الحضارة الغربية على

دين الإسلام. فكأننا نقول: ما دمنا نستطيع أن نستهزئ بأنبيائنا وتعاليمهم فلمَ لا نستطيع أن نستهزئ بالأديان الأخرى؟

ثم يقول هذا الكاتب الذي يجب أن لا ننسى أنه مسيحي: هل هذا السلوك طبيعي؟ أذكر أنه قبل عشرة أعوام أو اثني عشر عامًا عُرض فيلمٌ باسم "الإغواء الأخير للمسيح" (Last temptation of Christ)، فثارت ضجة كبيرة لظهور المسيح فيه مع امرأة في حالة مشبوهة، حتى أشعل أحدهم النيران في إحدى دور السينما في "باريس" لشدة غضبه، وقُتل شاب فرنسي أيضاً. ماذا يعني هذا؟ فمِن ناحية لا يتحمل بعض منا نحن المسيحيين الإساءة إلى مشاعرنا الدينية، ومن ناحية أخرى نتوقع من المسلمين أن يصبروا على ما نشرناه باسم الحرية من رسوم تدل على الذوق الدنيء. فهل هذا موقف صحيح؟ من المثير للسخرية ما يقوله القادة الغربيون إنهم لا يمكن لهم فرض الحظر على الصحف وحرية التفكير. لو ظهر في هذه الرسوم المسيئة حاخام (Rabbi) يهودي – مكان نبي الإسلام – يرتدي قلنسوة فيها أشكال القنابل، أفلا يثير هذا ضجةً بأن هذه الرسوم تُشتم منها رائحة (Anti Semitism) العداء للسامية، وأن فيها تجريحًا لمشاعر اليهود الدينية؟ إذا كان الأمر متعلقاً بحرمة حرية الرأي فلماذا تُرفع القضايا في "فرنسا" و"ألمانيا" و"النمسا" ضد كل من يقول بأن اليهود لم يتعرضوا للإبادة العرقية خلال الحرب العالمية الثانية؟ لو كان نشر هذه الرسوم يهدف إلى تشجيع المسلمين الذين يدعون إلى الإصلاح الديني والاعتدال والتسامح والاستنارة لما اعترض عليه إلا القلة. لكن لم تهدف هذه الرسوم إلا إلى إيصال رسالة بأن الإسلام دين الإرهاب. هل كان لهذه الرسوم أي تأثير إيجابي سوى أنها نشرت العنف والكراهية في كل أنحاء العالم. (جريدة "جنگ" اللندنية، يوم ٧ فبراير/شباط ٢٠٠٦م الصفحة ١ و ٣).

استغلال الأغيار ردةَ فعل المسلمين

لا شك أن بعض المسلمين قد قاموا ببعض التصرفات الخاطئة التي استغلها هؤلاء القوم، ولكن يوجد بين هؤلاء القوم شرفاء أيضًا يعرفون الحقائق ويكشفونها للناس.

لقد طلبتُ التقارير من مختلف البلاد عن ردود أفعال المسلمين وكذلك تعليقات مسئولي الحكومات الأوروبية والصحفيين. هذه التقارير تكشف أن عدداً لا بأس به من الناس لم يعجبهم نشر الجرائد للرسوم. وكما قلت من قبل، فإنهم يطلقون، من حين لآخر هنا وهناك، مثل هذه الأمور التي تكشف عن خبث باطنهم ونجس تفكيرهم، وبُعدهم عن الله تعالى، وتعصبهم وبغضهم تجاه الإسلام. ومع ذلك أقول إن ردود فعل خاطئة من قبل بعض القادة المسلمين تتيح للأسف لهؤلاء القوم فرصة الإساءة إلى الإسلام، ثم يكسب هؤلاء بأخطاء المسلمين هذه منافع سياسية أيضًا. ومما يزيد الطين بلة أن بعض المسلمين المقيمين في البلاد الغربية يقومون في حياتهم اليومية بتصرفات خاطئة تزعج هذه الحكومات، كجلوسهم في البيوت عاطلين متقاعسين عن العمل وعائشين على المعونة الاجتماعية، أو قيامهم بأعمال غير مسموح بها، أو تهربهم من دفع الضرائب وما شاكل ذلك، فالمسلمون يتيحون الفرص بأنفسهم لهذه الشعوب الماكرة، فتستغلها أيما استغلال. وفي بعض الأحيان يكون هؤلاء هم الظالمين، ولكن بسبب رد الفعل الخاطئ من قبل المسلمين يحاولون إظهار أنفسهم كالمظلومين ويقدمون المسلمين للعالم كالظالمين. لا شك أن الغالبية الساحقة من المسلمين لا تحبذ أعمال التخريب والتكسير، ولكن زعماءهم وبعض المفسدين منهم يشوهون سمعة الإسلام والمسلمين.

فمثلاً قد جاءنا تقرير من "الدنمارك" مفاده أن الرأي العام هناك يرى أنه ما دامت الجريدة قد اعتذرت، فعلى المسلمين قبول هذا الاعتذار، وإنهاء هذه القضية بشكل سلمي، لإتاحة الفرصة لوصول التعاليم الصحيحة للإسلام إليهم، وحتى يتجنبوا أي مواقف للعنف.

كما بُثت على التلفاز الدنماركي برامج تُبين أن الأطفال في "الدنمارك" قد أصابهم الرعب الشديد برؤية رد الفعل العنيف للشارع المسلم حيث يتعرض عَلم بلادهم وسفاراتهم للحرق، ويظنون أن هناك خطر حرب، وأنهم مهددون بالقتل.

إذًا، فإن الشعب الدنماركي وبعض مسؤوليهم قد استاءوا لما وقع، وظهر رد فعل آخر لديهم حيث قالوا يجب أن نبنى عندنا مسجدًا للمسلمين تعويضًا عن التجريح الذي سببناه لمشاعرهم، وأن تتولى الشركات المحلية تمويل هذا المسجد، وقد رحب عمدة مدينة "كوبنهاجن" بهذا الاقتراح. كما أن أكثرية المسلمين يرون أن من واجب المسلمين قبول هذا الاعتذار.

ومع ذلك نجد أحد زعماء المسلمين، الذي هو ممثل لـــ٢٧ مؤسسة إسلامية، يقول إنه برغم أن هذه الجريدة قد اعتذرت إلا أنه لا بد لها من الاعتذار أمامنا ثانية، وعندها سنطلب من البلاد الإسلامية أن ينهوا هذه الحركة المعادية. إن مثل هؤلاء يُقدمون الإسلام بصورة مرعبة، ويميلون إلى الفساد بدلاً من مد اليد للصلح. ورغم أنه لا علاقة للجماعة الإسلامية الأحمدية بمثل هذا الفساد، ومع ذلك تتلقى مراكزنا اتصالات ورسائل تهديد من بعض معارضي الإسلام بأننا سنفعل بكم كذا وكذا. ندعو الله تعالى أن يحفظ مساجدنا ومراكزنا أينما كانت ويحميها من شرورهم.

على أية حال، إذا حدث فعل خاطئ من جانب فيحدث رد فعل خاطئ من الجانب الآخر أيضاً. وكما قلت سابقاً، إن هؤلاء ما داموا قد اعتذروا على تصرفهم الخاطئ، فكان على المسلمين أن يقبلوا اعتذارهم، لأن رد فعلهم الخاطئ هذا قد جعل هؤلاء يحاولون إظهار أنفسهم أمام العالم كالمظلومين مع أنهم هم الظالمون إذ أتوا بفعلة شنيعة للغاية. الغريب أن أهل الدنمارك يعتذرون، ولكن قادة المسلمين يصرون على عدم قبول اعتذارهم. فعلى المسلمين أيضًا أن يتدبروا ويتعقلوا ويغيروا أساليب رد فعلهم.

أسلوب رد فعل الأحمدي

كما قلت سابقاً، إن ما حدَث قد أدمى قلوبنا أكثر من أي مسلم آخر، ولكن أسلوب رد فعلنا يختلف عن الآخرين. وأود أن أوضح هنا أنه ليس من المستبعد في المستقبل أيضًا أن يقوم هؤلاء بين الحين والآخر بما يثير الفتن ويجرح مشاعر المسلمين، إذ هذا هو دأبهم. وقد يكون هدفهم من ورائها تبرير فرض قيود قانونية على المسلمين وخاصة

الوافدين من البلاد الشرقية والقارة الهندية. وبغض النظر عن فرضهم القيود أو لا، فإنه يجب أن تكون تصرفاتنا في إطار مُثل الإسلام وتعاليمه.

المسيح الموعود عليه السلام سيدافع عن الإسلام والنبي الكريم ﷺ

كما قلت، إن المؤامرات ضد الإسلام ونبينا الكريم ﷺ لا تزال مستمرة منذ البداية، ولكن الله تعالى يحفظهما كما وعد وكما فعل من قبل، وسوف تخيب كل هذه المساعي المعادية في المستقبل أيضًا. ولهذا الغرض نفسه قد بعث الله تعالى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في هذا العصر. إن كل الهجمات التي وُجهت إلى النبي ﷺ في هذا العصر قد تصدى لها المسيح الموعود عليه السلام وخلفاؤه من بعده عاملين بتعاليمه، وبذلك أرشدوا الجماعة وبينوا لهم كيف يجب أن يكون رد فعلهم، ثم ماذا كانت النتائج؟ وأقدم لكم مثالين بهذا الصدد لأكشف إنجازات جماعتنا لهؤلاء القوم الذين يتهموننا بأننا لا نشعر بالألم نتيجة هذه الإساءة البغضية للرسول ﷺ حيث لا نشترك معهم في أعمال التخريب والإضرابات. إن ردود الفعل التي نبديها، أو يجب أن نبديها دائماً، ينبغي أن تتفق مع أسوة رسولنا الحسنة وتعليمه وتعليم القرآن الكريم. عندما نرى هذه الهجمات القذرة على ذات النبي ﷺ نبتهل إلى الله تعالى ونستعين به بدلاً من التوجه إلى أعمال الفساد والتخريب.

والآن أضرب لكم – كمثال – حادثين يدلان على مدى حب المسيح الموعود عليه السلام للرسول ﷺ وغيرته عليه. الحادث الأول هو ما حصل مع القسيس "عبد الله آثم". لقد دعا هذا النصراني خبيث الطبع في كتاب له نبينا ﷺ دجالاً – والعياذ بالله. وكان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام خائضًا في مناظرة مع هذا القيس حول عقائد الإسلام والمسيحية. يقول حضرته عليه السلام بهذا الصدد: لقد انشغلتُ في هذه المناظرة خمسة عشر يومًا، وكنت أدعو الله تعالى سرا أن يؤاخذ هذا القسيس على ما كتبه ضد نبينا ﷺ. وعند انتهاء المناظرة قلت له: لقد انتهى هذا الجدال، ولكن جدالاً من نوعٍ آخر لا يزال جاريًا وهو ما بينك وبين الله تعالى، لأنك قد دعوت في كتابك "أندرونه بائيبل"

نبينا ﷺ دجالاً، بينما أنا أؤمن بأن نبينا ﷺ صادق صدوق، وبأن الإسلام حق من عند الله تعالى، واعلم أن هذه الحرب سيحسمها الآن القرار الإلهي من السماء، وذلك أن من كان من بيننا كاذبًا في قوله ويسمي النبي ﷺ كاذبًا ودجالاً من غير حق، ويعادي الحق، فإنه يُلقى في الهاوية في حياة الفريق الآخر الذي هو على الحق خلال خمسة عشر شهرًا بدْءًا من هذا اليوم، إلا أن يعود إلى الحق.. أي أن يمتنع عن أن يسمي النبي الصادق الأمين ﷺ دجالاً وأن يتجنب السلاطة والبذاءة. ذلك لأن مجرد إنكار الدين الحق لا يوجب العقاب في الدنيا، إنما التجرؤ والتجاسر وبذاءة اللسان هو الذي يوجب عقاب الله في الدنيا.

ويضيف المسيح الموعود عليه السلام ويقول: لما قلت هذا للقسيس امتقع لونه واصفر وجهه وارتعدت يداه، فأخرج لسانه فورًا ووضع يديه على أذنيه وجعل يحركهما مع رأسه كالشخص المتهَم الخائف يُظهر براءته من التهمة في غاية التواضع والتذلل. وكان يقول مرة بعد أخرى: كلا، ثم كلا، فإنني لم أرتكب أي إساءة وجسارة. وبالفعل لم يتكلم هذا القسيس ضد الإسلام بعد ذلك أبدًا.

هكذا كانت ردةُ فعل "أسد الله" الغيور على رسول الله ﷺ، وهكذا كان يتحدى كل من كان يقوم بهذه التصرفات المشينة.

وهناك شخصٌ آخر اسمه "ليكهرام" الهندوسي. كان يسب النبي ﷺ، فأنذره المسيح الموعود عليه السلام على بذاءة لسانه، فلم يرتدع. فدعا عليه حضرته في آخر المطاف، فأنبأه الله تعالى أنه سيموت ميتة مؤلمة.

يقول المسيح الموعود عليه السلام بهذا الصدد: لقد وعدني الله تعالى في عدوٍ لله ولرسوله، كان يسب النبي ﷺ ويتفوه ضده بكلمات نجسة، وكان اسمه "ليكهرام"، فلما دعوت عليه بشرني الله تعالى أن هذا سيَهلَك خلال ست سنوات. وستكون هذه آية للذين يبحثون عن الدين الحق. وهذا ما حدث بالضبط، فمات ميتة أليمة.

قدموا للعالم أسوة رسول الله ﷺ الحسنة

هذه هي الأساليب التي علّمنا إياها المسيح الموعود عليه السلام.. أي أن نشرح الأمر لَمن يقوم بمثل هذه التصرفات، ونبين لهم محاسن رسول الله ﷺ، ونعرض على العالم جوانب سيرته الجميلة المضيئة التي لا تزال خفية عن أعين الناس، وندعو الله تعالى أن يبعدهم عن هذه التصرفات، أو يؤاخذهم بنفسه. فإن لله أساليبه الخاصة للبطش، وهو أعلم كيف وبمن يبطش!

وفي عهد الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام كتب شخص كتابًا شنيعًا ضد الرسول ﷺ بعنوان "رنگيلا رسول" (أي الرسول المنغمس في الملذات)، كما نُشر في مجلة اسمها "ورتمان" مقالٌ سخيف ضد الرسول ﷺ، فثار المسلمون في كل أرجاء الهند ضد هذه الإساءة، وكان لهم رد فعل شديد. فقام عندئذٍ الخليفة الثاني (المصلح الموعود) رضي الله عنه ناصحًا كافة المسلمين فقال: أيها الإخوان، إنني أقول لكم بقلبٍ يعتصره الألم، إنه ليس الشجاع مَن يسرع إلى قتال العدو متهورًا، بل الحق أنه هو جبان إذ رضخ لنفسه – وهذه إشارة إلى قول النبي ﷺ: لَيْسَ الشديدُ بِالصرَعَةِ، إِنَما الشديدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ – وإنما الشجاع مَن يعزم على شيء ولا يتراجع عنه حتى يتمه. لذا فعليكم أن تعاهدوا الله على ثلاثة أشياء لرقي الإسلام. أوّلاً: أنكم ستخشون الله تعالى ولن تستهينوا بالدين، وتصلحون أعمالكم قبل كل شيء. وثانيًا: أنكم لا تدّخرون وسعًا في تبليغ الإسلام حتى يطلع كل شخص في العالم على تعاليم الإسلام ومحاسن رسول الله ﷺ وأسوته الحسنة وحياته الطاهرة. وثالثًا: أنكم ستبذلون كل ما في وسعكم لتحرير المسلمين من الرقّ الحضاري والاقتصادي. (أنوار العلوم المجلد التاسع صفحة ٥٥٥-٥٥٦)

فيجب الآن أن يهتم عامة المسلمين ورؤساؤهم كلهم بهذا الأمر. فترون أن البلاد الإسلامية تتمتع ظاهرياً بالاستقلال، ولكنها رغم استقلالها لا تزال ترزح تحت الاستعمار الحضاري والاقتصادي للغرب. إنها تعتمد على الشعوب الغربية وليس همها

إلا تقليد الغرب. يتهربون من السعي والعمل، ويعتمدون على الغرب، وهذا ما جعله يتلاعب بمشاعر المسلمين الدينية من حين لآخر.

ثم دعا الخليفة الثاني ﷺ المسلمين إلى عقد المؤتمرات والاجتماعات لبيان سيرة النبي ﷺ العطرة. إذًا فهذه هي طرق الاحتجاج، وليس التكسير ونشر الفساد.

وهناك عادات قبيحة لهذه الشعوب تتسرب إلى بعض العائلات الأحمدية بحكم الجوار بينهم من حيث لا يشعرون. لذا أقول للأحمديين: إن خطاب الخليفة الثاني ﷺ كان موجهًا إليكم أكثر من غيركم من المسلمين، فعليكم أن تعملوا بما هو حسن من حضارتهم، وأن تتجنبوا ما هو شرٌّ منها. فبدل أن نتوجه إلى العنف، علينا أن نتوجه إلى محاسبة أنفسنا أوّلاً، ونرى هل أعمالنا حسنة؟ وهل نخشى الله حق خشيته؟ وهل نتوجه إلى عبادته والقيام بأحكامه كما ينبغي؟ وهل نهتم بنشر رسالة الله حق الاهتمام؟

ثم في زمن الخليفة الرابع – رحمه الله – لما قام "سلمان رشدي" بتأليف كتاب مسيء للغاية، ألقى حضرته العديد من الخطب وأمر بتأليف كتاب ردًا على ترهات رشدي.

وكما قلت سابقاً إن مثل هذه الأمور تحدث من حين لآخر. ففي بداية السنة الماضية كتب شخص مقالاً سخيفًا عن حياة رسول الله ﷺ، فكنت نصحت الجماعة والتنظيمات الفرعية فيها أن يكتبوا المقالات والرسائل ويوسعوا علاقاتهم لبيان سيرة الرسول ﷺ ونشر محاسنه وشمائله في العالم. فهذه فرصة لبيان محاسن السيرة العطرة للنبي ﷺ، وهذا الهدف لن يتحقق بأعمال الشغب والتخريب. فلو أن كل الأحمديين في كل بلد ضموا إليهم غيرهم من المسلمين المثقفين المتفهمين ليبدوا ردود فعلهم بطريق سلمي ويوسعوا نطاق علاقاتهم ويكتبوا حول سيرة الرسول ﷺ، فلسوف تتم الحجة على جميع شرائح المجتمع في كل بلد. ومن لم يرتدع بعد ذلك عن هذه الإساءة فأمره إلى الله.

لقد بعث الله تعالى النبي ﷺ رحمةً للعالمين لقوله تعالى لنبيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء: ١٠٨). والحق أنه لم يولد قبل النبي ﷺ ولن يولد بعده مَن هو أعظم

منه ﷺ رحمةً وأكثر منه نشرًا لها. غير أن أسوته ﷺ قائمةٌ للأبد، ويجب على كل مسلم أن يتأسى بها. وإن المسؤولية الكبرى بهذا الصدد تقع على عاتقنا نحن المسلمين الأحمديين. هذا النبي ﷺ الذي كان رحمةً للعالمين يصوره هؤلاء بهذه الصورة المخيفة، لذا فعلينا أن نبين للعالم أُسوته ﷺ المليئة بالحب والود والرحمة. ومن الواضح أنه لا بد للمسلمين من تغيير سلوكهم لتحقيق هذا الهدف. لا مكان للإرهاب في الإسلام مطلقًا. لقد حاول النبي ﷺ دائمًا تجنُّب الحرب، حتى فُرضت عليه الحرب من قبل الأعداء فرضًا في المدينة، فاضطر للقيام بالحروب الدفاعية بإذن من الله تعالى. ومع ذلك جاء أمر الله تعالى بقوله ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعتَدوا إِن اللهَ لا يُحِب الْمُعْتَدِينَ﴾(البقرة:١٩١). وكان النبي ﷺ أكثر الناس عملا بما نزل عليه من الوحي، فاتهام هؤلاء القوم النبيَّ ﷺ بهذه الأعمال السيئة ظلمٌ عظيم.

على أية حال، إنهم قد اعتذروا على ذلك كما قيل، ويؤكد تقرير من داعيتنا أن أحدهم قد اعتذر.

ردة فعل فورية لجماعتنا

إن المسلمين الآخرين في ثورة عارمة ويقومون بالإضرابات وأعمال التكسير، لأن ردة فعلهم تنحصر في مثل هذه الأعمال. وقد أبدت جماعتنا على هذا الأمر رد فعلها الفوري بحسب ما كان متوقعًا منها، حيث اتصل الأحمديون بالجرائد على الفور لبيان الحقيقة. علمًا أن هذه الحادثة لم تحدث في فبراير/شباط ٢٠٠٦ حين بدأ المسلمون الآخرون الإضرابات، بل حدثت هذه الحملة البشعة في سبتمبر/أيلول أو بداية أكتوبر/تشرين الأول في السنة الماضية. وأبين لكم ما فعلناه نحن الأحمديين عندها. لقد أعد داعيتنا في "الدنمارك" على التو مقالاً مفصلا وبعثه إلى الجريدة التي نشرت هذه الرسوم محتجًا عليها. وأخبرهم فيه عن تعاليم سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في مثل هذه المواقف، مبينًا لهم أن هذا هو احتجاجنا. إننا لا نقوم بالتظاهرات، ولكن سنقوم بجهاد

القلم معربين عن أسفنا الشديد على نشر هذه الرسوم. ولقد بين لهم داعيتنا أن حرية الرأي أمرٌ لا شك فيه، ولكن حرية الرأي لا تعني أن تؤذوا الآخرين.

فجاء رد فعل إيجابي من تلك الجريدة، فنشرت مقال داعيتنا. كما قام الشعب الدنماركي أيضاً بالرد الإيجابي، حيث اتصلوا بمركز جماعتنا هاتفياً وبريدياً مشيدين بهذا المقال. ثم وجه رئيس نقابة الصحفيين دعوة إلى داعيتنا لحضور اجتماع لها، فحضره وبين لهم أنه مما لا شك فيه أن قوانينهم تمنحهم حرية الرأي، ولكن هذا لا يعني أن ينظروا إلى قادة الأديان الأخرى وشخصياتها المقدسة بازدراء ويسيئوا إليها. وما دام المسلمون والمسيحيون يعيشون في هذا المجتمع معًا، فيجب أن يراعي كل طرف مشاعر الطرف الآخر وإلا لن يكون هناك أي سلام في المجتمع.

ثم أخبرهم داعيتنا بما جاء به النبي ﷺ من تعاليم جميلة وما قدّمه من قدوة حسنة، وكم كانت أخلاقه سامية، وكم كان مواسيًا الناس، وكم كان شفيقًا على خلق الله، حتى كان رحمة متجسدة! وعندما أخبرهم داعيتنا ببعض وقائع حياته ﷺ، وقال لهم: هل يجور أن يُصوَّر بمثل تلك الرسوم من جاء بهذا التعليم وأتى هذه الأعمال؟ فتأثر الصحفيون من هذا الكلام، وأشادوا بما سمعوا، حتى قال أحد الذين رسموا هذه الرسوم: لو عُقد هذا الحوار من قبل لما رسمنا هذه الرسوم أبدًا. اليوم عرفنا ما هي تعاليم الإسلام. وقد أفصح كلهم عن رغبتهم في استمرار الحوار بين الطرفين.

كما صدر بيان صحفي من قبل رئيس نقابة الصحفيين قُرِئ أمام الجميع. وعُقد حوار ناجح لداعيتنا في التلفاز في "الدنمارك". كما قام بمقابلة أحد الوزراء أيضًا.

على كل حال، إن جماعتنا تبذل جهدها في مثل هذه المناسبات، وقد قامت بهذه الأعمال في الدنمارك، وقد عملت كثيراً في البلد الذي كان منشأ هذه الفتنة.

إن حقيقة نشر هذه الرسوم هي أن أحد الكُتاب ألف في "الدنمارك" كتابًا بعنوان: "حياة محمد (ﷺ) والقرآن"، وهذا الكتاب موجود في السوق. وأراد صاحب هذا الكتاب من الصحفيين أن يرسموا بعض الرسوم للنبي ﷺ، فقام بعضهم برسمها دون أن

يظهروا أسماءهم خشية رد فعل المسلمين. فهذا الكتاب هو السبب في نشر هذه الإساءات، وهذه الرسوم المنشورة في الجريدة هي السبب وراء ردة فعل المسلمين. وعلى جماعتنا أن تقوم بجهود متواصلة في كل مكان من العالم للرد على ما ورد في هذا الكتاب من مطاعن ضد الإسلام.

بيد أنه يقال في "الدنمارك" أن بعض المسلمين قد اتهموهم بنشر رسوم لا علاقة لهم بها ولم ينشروها، وإنما اخترعها بعض المسلمين من عند أنفسهم تحريضاً للعالم الإسلامي ضدهم. نحن لا نعرف مدى صدق كلامهم هذا، إلا أنه قد تولد عند هؤلاء القوم شعور بخطئهم بعد ما أقمنا معهم من حوارات واتصالات. وقد حصل كل هذا في بداية هذه الفتنة، بينما عرفها بقيةُ المسلمين اليوم بعد انقضاء ثلاثة أشهر على ذلك.

وكما قلت من قبل، هناك حاجة ماسة إلى عرض جوانب سيرة النبي ﷺ على الناس في كل دولة. علينا أن ندحض بالأدلة بشكل خاص ما عندهم من تصور بأن الإسلام – والعياذ بالله – مولع بالحرب. يجب أن تنشروا المقالات بكثرة في الجرائد، كما قلت سابقا، ويمكنكم أن ترسلوا للكتّاب وأصحاب الجرائد كتبًا عن سيرة النبي ﷺ.

على شبابنا دراسة الصحافة

وهناك اقتراح للمستقبل، وهو أنه يجب أن تخطط جماعتنا لكي يدرس عدد كبير من شبابنا الصحافة ممن يرغب بها، لكي يكون لنا نفوذ في الجرائد وفي هذه البلاد وفي هؤلاء الشعوب. ذلك لأن هذه التصرفات تقع من حين لآخر، فإذا كان لنا اتصال قوي بوسائل الإعلام فيمكن التصدى لمثل هذه الحملات المسيئة. أما إذا تمادى أحد بعد ذلك ولم يرتدع، فإن مثل هؤلاء يقعون تحت لعنة الله في الدنيا والآخرة كما قال الله تعالى ﴿إِن الذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾(الأحزاب:٥٨). إن هذا الوعيد الرباني لم يُلغ، بل إن نبينا ﷺ نبيٌّ حي، وتعاليمه تهب الحياة دائمًا، وشريعته الغراء تحمل حلولا لقضايا كل عصر، وإن اتّباعه ﷺ يؤدي إلى القرب من الله؛ لذا فإن هذه الآية ما زالت تمثل اليوم أيضا تحذيرًا لمن يؤذي أتباعَه

ﷺ بأي شكل. فإن الله تعالى حي، ويراقب تصرفات هؤلاء القوم. فمن واجبنا أن نُحذرهم بأن الله قادر على عقابكم بسبب هذا الإيذاء الذي تصيبوننا به، فكُفّوا عن إيذاء الله ورسوله.

وإذا كان علينا أن نخبر الناس عن تعاليم الإسلام وأسوة رسولنا ﷺ، فمن واجبنا أن نصلح أعمالنا أولاً، لأن الأعمال الطيّبة الحسنة هي التي سوف تفحم الدنيا، وهي خير وسيلة لهذا الغرض. فقد نشروا في الدنمارك تقريرًا عن أحد علماء المسلمين بأنه منافق لأنه يقول لهم غير ما يفعل ويحرض المسلمين ضدهم. لذلك فعلينا أن نوحد ظاهرنا وباطننا ونجعل فعلنا كقولنا لنقدم لهم هذه النماذج العَملية.

التكسير وحرق الأعلام لا يقيم عزة الرسول ﷺ

وأقول للذين ينتسبون إلى الإسلام، سواء الأحمديين أو السنة أو الشيعة أو أي فرقة إسلامية أخرى، أن يعرفوا جميعًا أنه إذ هوجمت شخصية النبي ﷺ فعليهم ألا يتوجهوا إلى ثورة عابرة وغضب مؤقت بإحراق الأعلام وتحطيم السفارات، بل عليهم أن يُصلحوا أفعالهم وأعمالهم حتى لا ينتهز الغير فرصة التشهير بهم. هل يظن هؤلاء الذين يشعلون النيران في السفارات ويحرقون الأعلام أن عظمة رسولنا الكريم ﷺ تساوي هذه الأعمال التخريبية وأنهم قد أخذوا ثأرهم منهم على هذه الإساءة؟ كلا. بل إننا نؤمن بذلك النبي الذي جاء لإطفاء النيران، والذي جاء سفيرًا للحب وأميراً للأمن! فبدلاً من أن نميل لأي عنفٍ، يجب أن نوضح الحقيقة للدنيا ونعرض عليها تعاليم النبي ﷺ الجميلة.

أدعو الله أن يلهم المسلمين العقل والصواب. وأقول للأحمديين خاصةً إننا لا نعرف إن كان المسلمون الآخرون سيعودون للصواب أم لا، ولكن على كل واحد منكم، صغيرا وكبيرا، شيخا وشابا، ذكرا وأنثى، أن يشعل في قلبه، كردّ فعل على هذه الرسوم، ناراً لا تنطفئ أبدًا، ناراً لا تحرق أعلامَ أو سفارات بلدٍ أو مباني لتنطفئ بعد ذلك بدقائق أو ساعات، كما رأيتم في بعض الصور المنشورة عن باكستان حيث

أشعل البعض النار ثم وقفوا بجنبها في حماس شديد كأنهم قد نالوا انتصارًا عظيمًا. إن النار التي أوقدوها تنطفئ خلال بضع دقائق، ولكن علينا أن نشعل نارًا لا تنطفئ أبدًا، وهي نار عشق الرسول ﷺ ومحبته، نارُ التأسي بأسوته ﷺ في كل أمر وعرضِها على العالم، نار إذا اشتعلت في قلوبكم لم تنطفئ أبدًا، نار تتحول إلى الأدعية، ويصل لهيبها إلى السماء كل حين.

حوّلوا آلامكم إلى دعاء وصلوا على النبي ﷺ بكثرة

هذه هي النار التي يجب أن يشعلها كل أحمدي في قلبه ويحوّل آلامه إلى أدعية، ولكن عليهم أن يدركوا أن الوسيلة لذلك ليست إلا محمدا المصطفى ﷺ. فلكي يُستجاب دعاؤكم، وتحظوا بمحبة الله تعالى، وتتجنبوا لغو الدنيا، وتنجوا من هذه الفتن، وتشعلوا جذوة حب النبي ﷺ في قلوبكم دائمًا، وتصلحوا دنياكم وعقباكم، عليكم أن تُكثروا من الصلاة على النبي ﷺ. فلكي تظلوا مستغرقين في حب رسول الله ﷺ في هذا الزمن المليء بالمفاسد والفتن، ولكي يبقى أولادكم متمسكين بالإسلام الصحيح أي الأحمدية، فعلى كل أحمدي أن يعمل جاهدًا بحسب قول الله تعالى ﴿إِن اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلونَ عَلَى النبِي يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوا صَلوا عَلَيْهِ وَسَلمُوا تَسْلِيمًا﴾(الأحزاب:٥٧).

لقد بين النبي ﷺ مرارًا أنه يكفيني صلاة الله تعالى وملائكته عليّ، وإنما أمركم الله بالصلاة عليّ حمايةً لكم. (الدر المنثور بتخريج الترغيب للأصفهاني، مسند الديلمي)

إذًا، فإننا بحاجة إلى الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ حتى تُستجاب أدعيتنا. أما فيما يتعلق بعظمة النبي ﷺ، فاعلموا أن في هذه الآية القرآنية وفي بداية الحديث الشريف المذكور أعلاه ضمانًا بأنه مهما حاول المعارضون الحط من مقام الرسول ﷺ واستهزءوا به، فإنهم لن ينجحوا في مسعاهم أبدًا لأن الله تعالى وملائكته يُصَلّونَ ويسلّمون عليه ﷺ. إنهم لن يحققوا شيئًا بالهجوم على شخص الرسول المبارك ﷺ، ولسوف يرتقي الإسلام باستمرار وينتصر على الدنيا، ولسوف ترفرف راية النبي ﷺ خفاقة عالية في

العالم كله. كما قلت من قبل، فإن الله تعالى قد كتب أن يتم هذا الأمر في هذا الزمن بواسطة المسيح الموعود عليه السلام، المحب الصادق للنبي ﷺ.

يقول مولانا "عبد الكريم السيالكوتي" رضي الله عنه لقد سمعت حضرة الإمام عليه السلام مرةً يقول: "لقد وهبني الله تعالى هذه الدرجات نتيجة إكثاري من الصلاة على النبي ﷺ. لقد رأيت أن فيوض الله تعالى تصل إلى النبي ﷺ بشكل أنوار عجيبة تتجه إلى النبي ﷺ، ثم تنجذب في صدره، ثم تصدر منه على شكل السواقي التي لا تعدّ ولا تحصى، وتصل إلى كل من يستحقّها بحسب نصيبه. إنه لمن المحال قطعًا الآن أن يصل أي فيضٍ إلهي إلى أحد بدون واسطة النبي ﷺ. ما هي الصلاة على النبي ﷺ؟ إنها بمثابة تحريك عرش الرسول ﷺ الذي تخرج منه هذه السواقي النورانية. فالذي يريد أن يتلقى شيئًا من فيوض الله تعالى وأفضاله، عليه أن يكثر من الصلاة على النبي ﷺ لكي يتحرك ذلك الفيض. (جريدة الحكم المجلد ٧ العدد ٨ الصفحة ٧ يوم ٢٨ فبراير/شباط ١٩٠٣م)

ندعو الله تعالى أن يحمينا من فتن هذا العصر، وأن يرسخ في قلوبنا حبّ النبي ﷺ دائمًا، وننشر تعاليمه في العالم أجمع، ونكون من الذين يصلّون عليه ﷺ منيبين إلى الله تعالى مستعينين به، وأن نكون الوارثين لأفضاله وفيوضه. ولْينصُرْنا الله تعالى.